جمهورية مصر العربية	٢٧ من المحرم ١٤٣٨هـ□
وزارة الأوقاف	□ ٢٨ من أكتوبر ٢٠١٦م

(١)

حماية الأوطان وسبل بنائها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز على لسان يوسف عليه السلام:{وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن من أعظم نعم الله (عز وجل) علينا أن جعل لنا وطنًا نعيش فيه آمنين مطمئنين ، ومن حق هذا الوطن وواجبه علينا أن نحافظ على أمنه وأمانه واستقراره ، وأن نعمل على حمايته ، والدفاع عنه بكل ما أوتينا من قوة ، حتى نترجم حبنا له إلى واقع معيش وعمل ملموس.

وإذا كان الوطن هو مهد الإنسان ، ومَرتع صباه ، فلا بد أن يشعر الإنسان الصادق بحبه لهذا الوطن ، اعترافًا بجميله ، فيجتهد في حمايته ورفع شأنه ، ويعمل جاهدًا على رفعته ورقيه ، ويردّ عنه كيد الكائدين.

وقد علَّمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) حب الوطن في أرقى صوره في مواقف كثيرة ، منها ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) حين أخرجه قومه من بلده مكة التي وُلد فيها ونشأ وترعرع بين جنباتها ، وهاجر إلى المدينة المنورة ، فخاطب مكة متأثِّرًا لفراقها ـ وكأنها عاقل يسمع ويجيب ـ : (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)، وفي رواية : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ).

ومن هنا نؤكد أن حماية الأوطان والمحافظة على أمنها وسلامتها، والدفاع عنها واجب على كل إنسان ينعم بالعيش فيها.

وجدير بالذكر أن حماية الأوطان ليست قاصرة على حمل السلاح ومواجهة العدوان والأخطار الخارجية فحسب ، بل هناك وسائل أخرى لحماية الأوطان ، تتمثل في عدم السماح لأحد بالمساس بها أو النيل منها ، أو العبث بها ، أو الإفساد فيها ، أو الكيد لأهلها ، أو ترويع أبنائها ، بل على العكس من ذلك فإنه ينبغي العمل على النهوض بها ، وبنائها في كافة المجالات والقطاعات ، ومن ذلك:

البناء الاقتصاديّ : فلا شك أننا في حاجة إلى أن نتعاون جميعًا من أجل بناء الوطن اقتصاديًّا ، ولا يتحقق ذلك إلا بالعمل الجاد المثمر ، وزيادة الإنتاج حتى يكون الإنسان في حياته عاملاً معطاء ومعمِّرًا في الأرض حتى يدركه الموت أو تأتيه الساعة ، وقد حثَّ على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا).

ولن تتحقق حماية الوطن اقتصاديًّا إلا بتضافر الجهود للعمل والإنتاج وتهيئة المناخ المناسب للاستثمار ، و منع كل صور الغش ، والاحتكار ، واستغلال حاجة الفقراء ، فهذه كلها أمور تتنافى مع الدين والخلق والوطنية التي تقتضي أن يرعى الناس حقوق بعضهم البعض ، وأن لا يكون كل منهم سببًا في تضييق العيش على الآخر والإضرار بمصالحه ، فهذا أمر محرم في كل

الشرائع والأديان ، لما يسببه من نشر للبغض والكراهية بين الناس .

كما أن بناء الوطن اقتصاديًّا يتطلب ترشيد الإنفاق والاستهلاك ، وعدم الإسراف والتبذير ، فقد أرشدنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى كل ذلك ، قال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}، وقال عز وجل : {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}، وعن المقدام بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ).

ومنها: **البناء الاجتماعي**: الذي يقوم على التعاون المثمر بين جميع أفراده بالمحبة والمودة والاحترام الكامل ، بحيث يتمكن الشباب من الاستفادة من حكمة الشيوخ ، ويستفيد الشيوخ من طاقة الشباب ، فيوجه كل واحد منهما طاقاته إلى ما يعود نفعه بالخير على البلاد والعباد ، وهذا التعاون أحرى ما يكون بين كافة أطياف المجتمع وفئاته وطبقاته.

ويتحقق أيضًا بالمساواة بين جميع أفراده في الحقوق والواجبات ، إذ لا مجال للمجاملة أو المحسوبية ، أو أكل المال بالباطل ، فلا يجوز لأحد أن يأخذ مال غيره بدون حق ، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}، كما يتطلب البناء الاجتماعي التراحم والتعاون ، بحيث يرحم الكبير الصغير ، والغني الفقير، فيعود الغني بفضله على أخيه الفقير ممتثلاً لقول نبينا (صلى الله عليه

وسلم) : (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ).

ولكي يتحقق الحفاظ على الوطن اجتماعيًّا لابد من أن يتحلى كل أبنائه بالمشاركة الإيجابية في إصلاحه ، والإسهام في النُّهُوضِ به ، فإن الإسلام دعا إلى الإيجابية في كل ما من شأنه خدمة الوطن ورفعته طوال حياة الفرد منذ نعومة أظفاره حتى نهاية حياته، فالمسلم لا يقف من الأحداث موقف المشاهد فحسب ، بل يجب أن يكون إيجابيًّا ، يسعى إلى محاربة الفساد والإفساد والتخريب ، ممتثلاً لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)،فاليد للسلطان ، واللسان للعلماء ، والقلب لعامة الناس ، وحيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ).

فما استحق المسلمون الخيرية إلا بإسهامهم الإيجابي في بناء أوطانهم وابتغاء النفع للإنسانية جمعاء ، يقول تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}.

إن المسلم الحق لا ينبغي أن يكون سلبيًّا متكاسلا أو متقاعسًا عن الإسهام في بناء وطنه وحمايته ، بل يجب أن يكون إيجابيًّا متحملا مسئوليته تجاه

مجتمعه ، حتى يسهم في رقيه ورفعته ، فالإسلام لم يعف أحدًا من المسئولية حتى الخادم جعله مسئولاً في مال سيده ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

ومنها: **البناء السلوكي**: ولا يكون ذلك إلا بنشر القيم الخلقية والإنسانية بين جميع أفراد المجتمع ،كالصبر ، والحلم ، والرفق ، والرحمة ، والوفاء، والصدق والأمانة ، وغيرها من مكارم الأخلاق التي هي جوهر رسالة الإسلام ، فقد سُئل (صلى الله عليه وسلم) ما الدين؟ قال : (حسن الخلق)، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أولاها عناية فائقة ، حين أعلن أن الغاية من بعثته إنما هي إتمام مكارم الاخلاق، حيث قال (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارم الأَخْلاقِ).

ومن البناء السلوكي الذي يحمي الأوطان : عدم السخرية والاستهزاء بالآخرين، أو التقليل من شأنهم غمزًا أو لمزًا أو بث الشائعات الكاذبة بين الناس ، قال تعالي:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}،ويقول سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فبهذه القيم الخلقية تُحمى الأوطان

وتعصم من كل مظاهر الفوضى والانحلال ، وتصان من الضياع ، فسلامة الوطن وقوة بنيانه، وسمو مكانته وعزة أبنائه، بتمسكهم بالقيم الفاضلة والأفعال الحميدة. **أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن من وسائل حماية وبناء الأوطان : **البناء العلميّ والفكريّ** ، فلا شك أن ذلك من أهم سبل البناء وتحقيق التقدم لأي مجتمع ، لذلك حرص الإسلام على نشر العلم بين أبناء الأمة ، فكانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، وبعدها نزلت سورة القلم الذي هو أول أداة من أدوات تحصيل العلم ، قال تعالى: { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ }، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن مكانة العلم في الإسلام لا تدانيها مكانة، كما قال ربنا في كتابه:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

فالعِلم هو أحد أهم أعمدة بناء الأوطان وحمايتها والنهوض بها ، فبه يُقضى على التخلّف والفقر والجهل والأمية وغيرها من الأمور الّتي تؤخّر

الوطن ، ولا ينكر أحد أن النمو الاجتماعي والاقتصادي في أي دولة من الدول مرهون بالعلم.

كما أن البناء الفكري يسهم في تنمية العقول وتصحيح المفاهيم الخاطئة ويعمل على حماية المجتمع من أصحاب الدعوات الهدامة والأفكار المتطرفة التي تصدر من مرضى القلوب وضعفاء النفوس ، الذين لا يحبون وطنهم ، بل يعملون على زعزعة أمنه ، وهدم بنيانه وتمزيق أوصاله ، وتفريق كلمته، وليس لهم هدف سوى نشر الفوضى التي تؤدي إلى فتن عظيمة تعصف بالبلاد والعباد من قتل وتدمير وتخريب ، وزعزعة لأمن الفرد والمجتمع.

فالإنسانُ إذَا أحبَّ وطنَهُ استشعَرَ مسئوليةَ المحافظةِ علَى أمنِه واستقرارِه، ولاَ يستجيبُ لِمَنْ يَسْعَى لِتخريبه مِنَ الأدعياء ، فكم يحتاجُ وطنُنا اليوم إلى قلوبٍ سليمةٍ منفتحة على كلِّ أبوابِ الخير ، وكم يحتاجُ وطنُنا إلى جموعٍ متآلفة متعاونة تقية ، تتعاملُ فيما بينها بإحسانٍ وأمانٍ واطمئنان.

نسأل الله العظيم أن يحفظ بلادنا من كل سوء ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.